المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة - تصدرها كلية السياحة والفنادق – جامعة الفيوم،
المجلد الحادي عشر، العدد (1/3)
عدد خاص بأبحاث المؤتمر الدولي العاشر للسياحة والضيافة، شرم الشيخ 8-11 فبراير 2017

تطور السياحة بين الفكر والفلسفة والابتكار والإدارة

علي محجوب عطا المنان
كلية السياحة والفنادق – جامعة الزعيم الازهري بالخرطوم

تمهيد

لاحظ كاتب هذا البحث أن معظم الباحثين الذين كتبوا في تاريخ نشأة وتطور السياحة كان تركيزهم على مظاهر بداية الحراك السياحي كنشاط إنساني تولد عن تطور حياة الإنسان وتعدد احتياجاته والتعامل مع ذلك كظاهرة إنسانية، لكن يرى الباحث أن للسياحة عمق آخر يرتبط بالفكرة والفلسفة والابتكار والفنون والإدارة. فالسياحة اليوم هي علوم وفنون متجددة متطورة بتطور الزمان والحضارة الإنسانية وهى اقتصاد وصناعة تعتمد عليها كثير من الأمم في دخلها القومي. ولكن للسياحة قصة تم نسجها وكتابة فصولها عبر قرون التاريخ، إذ أن مفهومها قد تطور تبعاً لتطور الحضارة الإنسانية وتعدد احتياجات الإنسان و اختلاف رغباته، وتطور فهمه في نظرته للحياة والكون من حوله وإحساسه بما فيه من موجودات أخرى وتأملاته فيها وحولها ثم سعى من بعد ذلك لتوظيفها لرغباته وفق تصوراته وخططه لحياته. كل ذلك لم يكن عشوائياً أو من قبيل الصدفة إنما هو بناء تأسس على قواعد من الفكر والفلسفة و الابتكار والفنون والإدارة صاحبت نشأة وتطور النشاط السياحي لأن تلك القواعد كان لها دور محوري في تشكيل حياة الناس وتوجيه رغباتهم ومناشطهم على الأقل في محيط جغرافي وسياسي كان فيه للفكر والفلسفة والابتكار وجود نتج عنه توجيه الحياة بأن تسير وفق تخطيط أثمر الإبداع والفنون والإدارة. ومن ذلك أراء أرسطو في تقسيم طبقات المجتمع، وافلاطون في المدينة الفاضلة فقد تحدد من ذلك وصف وظيفي لكل طبقة ودورها في الدولة والمجتمع وتحددت كيفية إدارة الحكم والمجتمع والطبقات المخدومة والطبقات الخادمة ومن ذلك قضاء أوقات الفراغ ومتعة النفس وكيفية ادارتها، وما رواه هيرودوتس عن إحتفالات المصريين القدامى بالأعياد ورحلاتهم السياحية كذلك ما ظهر من إبداعات فنون الرسم والنحت، والفكر في تنظيم الحياة. وابتكار الألعاب الأولمبية وتنظيمها في ذلك الوقت المبكر يستدعى وجود قدرة على التفكير والتصور والتخطيط لإدارة ذلك المنشط الرياضي مما يتطلب تجهيز الملاعب واستقبال الضيوف المشاهدين والمشجعين لتلك الألعاب مما أوجد حراكاً شعبياً افرز حاجة إنسانية للسياحة المرتبطة بالحاجة للخدمات والسلع فكانت بداية مبكرة للسياحة الرياضية وتطورت بداياتها إلى أن تولدت منها السياحة الحديثة ومكوناتها واقتصادها وصارت صناعة تعتمد عليها الكثير من الأمم، فالسياحة لم تكن في يوم من الأيام هي العنصر المحفز لقضاء الأوقات وتزجية الفراغ والترفيه فقط وانما متعة النفس فيها تأتي من متعة العقل والفكر والتأمل والإحساس النفسي والوجداني بالرضى من اكتساب الجديد من المعارف والأمكنة ومحتواها واكتساب المصالح المادية والمعنوية وفقاً لأغراض السياحة الحديثة، وجزء من ذلك قضاء الأوقات والترفيه والراحة والاستجمام كجزء من حاجات النفس ومتعتها وحتى هذا يظل وراءه فكر وفلسفة وإبداع وإدارة شكلت قصة السياحة. وتكمن أهمية هذه الدراسة فى انها جاءت لتثبت أن كل تلك العلوم والمعارف والخبرات كانت حاضرة فى الحراك السياحي فى الممالك القديمة وما تلاها من عصور لكن كلاً بمقياس عصره وزمانه، كما هدفت هذه الدراسة الى اقرار كل المقاصد التى تم ذكرها آنفاً إضافة الى النظر فى مفهوم السياحة وتعريفاتها الحديثة بمصطلح كلمة سياحة واسقاط تلك المعاني على ما يشابهها من مناشط فى العصور القديمة الى ما قبل العصر الحديث لاثبات أن السياحة كانت قائمة فى مقاصدها ومناشطها واقتصادها وتنظيمها وادارتها وتشريعاتها من دون أن تسمى سياحة باللغات المختلفة. النطاق الزمني لهذه الدراسة شمل الممالك المصرية القديمة، الامبراطورية اليونانية، الامبراطورية الرومانية، العصور الوسطى، عصر النهضة، بدايات الثورة الصناعية، العصور الحديثة، توماس كوك فى تنظيم الرحلات وتطوير الادوات المالية، ثم عصر تطور وسائل النقل ودورها فى حركة السياحة، كما خلص البحث لعدة نتائج أهمها أن ظهور اقتصاد وصناعة

السياحة لم تكن ناتجاً لإبداعات وابتكارات العصر الحديث وإنما هى تطور متدرج نما مع نمو الحضارات والفكر الانساني وابداعاته عبر التاريخ ويظهر ذلك عبر السرد التاريخي فى البحث.

مقدمة

للسياحة تاريخ موغل في القدم عبر الزمان والمكان، وتطور مفهومها تبعاً لتطور الحضارة الإنسانية، وتنوع أدوات ووسائل التنقل والسفر، وتعدد احتياجات الإنسان، واختلاف رغباته، وتطور فهمه وفكره حول نظرته للحياة والكون من حوله، وإحساسه بما فيه من موجودات أخرى، وتأملاته فيها وحولها مما جعله يخطط للسيطرة على ما يمكن السيطرة عليه منها وتسخيرها لخدمته، ثم من بعد ذلك جاءت مرحلة توظيفها لرغباته وفق تصوراته وبرامجه لحياته[1].

ومن المفيد جداً في هذا البحث أن نشير إلى أن الفكر والإبداع والفلسفة كان لها دور محوري في تشكيل حياة الناس وتوجيه رغباتهم ومناشطهم على الأقل في محيط جغرافي وسياسي كان فيه للفكر والإبداع والفلسفة وجود. ومن ذلك أراء ارسطو في تقسيم طبقات المجتمع، وافلاطون في المدينة الفاضلة وإبداعات فنون الرسم والنحت، والفكر والابتكار في تنظيم الألعاب الأولمبية وذلك مما أوجد حراكاً بشرياً أفرز حاجة إنسانية للخدمات والسلع تطورت بداياتها الى أن تولدت منها فكرة السياحة ومكوناتها واقتصادها.

بحكم طبيعة حياة الإنسان منذ بدء تكوين المجتمعات فإن أوقاته تسخر لمعالجة شئون الحياة في توفير سبل العيش وتوفير الأمن والحماية وجزء منه للترويح والتنقل لمعرفة ما يحيط به بدافع المعرفة وتجديد حيوية النفس ثم كان التنقل والسفر بالوسائل البدائية في ذلك الزمان، مما شكل وجود حركة انتقال من مكان إلى آخر، تتغير فيها المعالم وبرزت فيها حاجة الإنسان إلى الضيافة وتوفير المأوي أما بخدمة نفسه أو عند الآخرين.

وفى فترة ما من التاريخ وعند انتقال الإنسان من البدائية الى مدارج الحضارة ظهرت فنون النحت لتصوير الآلهة والمعابد، وظهرت الديانات القديمة وفي منطقة البحر الأبيض المتوسط والبلاد المطلة عليه، من قارة أوربا في شماله، والبلاد الواقعة في شرقه حتى بلاد الرافدين، أو في جنوبه في مصر ظهرت الفنون المعمارية وهندستها في المباني ونحت التماثيل وتسجيل حياة الملوك والمعارك صوراً وكتابة في بعضها، مما أوجد دوافع ومقاصد للزيارة أما تديناً أو للتأمل والمشاهدة والمعرفة، فكانت حركة الانتقال والسفر. بالوسائل البرية المعروفة في ذلك الوقت ثم ظهرت المراكب في البحر ومثلت إضافة إلى وسائل السفر، فكان الانتقال لتحقيق أهداف مجتمعة أو متفرقة. فكان السفر لأسباب مدنية بقصد:-

التبادل التجاري - زيارة المعابد والآلهة - زيارة للاستطلاع والمعرفة والاستكشاف - زيارة للمتعة والتسلية. وقد ذكر دي ماير تعريفاً يعتبر فيه أن السياحة هي مجموعه التنقلات البشرية والأنشطة المترتبة عليها والناتجة عن ابتعاد الإنسان عن موطنه[2].

وأياً كانت الأسباب، فهناك حاجة لتنظيم الرحلات وإعداد أماكن المبيت وتوفير الخدمات للاشخاص ولدوابهم –إذا كانت الرحلة بالدواب- مما جعل للسكان المحليين في محطات التوقف دوراً في تقديم

(1) اسامه الرافعي – السياحة النظرية والسياسات – د ن – د ت – د م ص 13

(1) زيد منير عبوى – مبادئ السياحة الحديثة ط 1 – دار المعتز للنشر والتوزيع 2016 - ص 16

الخدمة.من خلال توفير المأوى وتقديم الخدمات المتعددة اضافة إلى حركة الانتقال من مكان إلى آخر واستخدام وسيلة للتنقل، يكون ذلك قد وضع أساساً لحركة السياحة ومتطلباتها منذ القدم.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة هذا البحث في أن كثيراً من المختصين الذين كتبوا في مجال اقتصاد السياحة والتخطيط السياحي وبعض علوم السياحة الأخرى يعتبرون ان اقتصاد السياحة والتخطيط لها ولبرامجها مسألة متعلقة بالعصر الحديث ربما في فترة لم تتجاوز القرن التاسع عشر أو قبله بقليل، كما ذكروا أن السياحة المنظمة لم تعرف قبل ذلك التاريخ الذى بدأ يعرف ملامح كلمة سياحة واقتصاد السياحة والتخطيط لها حتى تحولت الى صناعة. ثم أن البعض يرى أن السياحة قامت في الأصل لمتعة النفس والاستمتاع بأوقات الفراغ والتسلية وذلك بمناشط محببة للنفس هوى ورغبة، وذلك حتى في ملامحها في التاريخ القديم، وذلك يتبين من خلال السرد التاريخي لها في معظم الكتب والمراجع، ولا تذكر تلك المراجع والمؤلفات ابداً أن وراء بدايات النشاط السياحي حتى في التاريخ القديم فكرة وتصور وإدارة وتنظيم وإبداع في التخطيط وابتكار للمناشط، وتلك الأمور واضحة ويمكن استخلاصها بشئ من التأمل والتدقيق في ذات النصوص التى تحكي عن ملامح السياحة في الممالك القديمة – الممالك المصرية القديمة، الامبراطورية اليونانية،الامبراطورية اليونانية وغيرها – فهنالك مايمكن الاستنباط منه أن السياحة في بداياتها الاولى – قبل ان يظهر مصطلح كلمة سياحة وحسب التعريف الرسمي لذلك المصطلح - لم تكن عملاً تلقائيا ولا عشوائيا، وتكمن المشكلة في تعديل ذلك الفهم الى أن كلمة سياحة لم تكن معروفة بذلك اللفظ – حسب اللغات المختلفة – لكن جوهر مفهومها كان يمارس فعلا وفكراً وفلسفة وتخطيطاً واقتصاداً وتشريعاً.

أهمية البحث

لاحظ كاتب هذا البحث خلال دراسته لتاريخ نشأة السياحة وتطورها وتنميتها حتى صارت لدى كثير من الدول اقتصاداً يعتمد عليه وصناعة متقدمة بين الصناعات الأخرى سلكت في مدارج التطور والازدهار من خلال التخطيط والتنظيم والإدارة والإحصاء والبحث العلمي، وكثير من الكتاب والمنظرين والباحثين والمخططين لعلوم السياحة يصوبون نحو كيفية ترقية اقتصاد السياحة وصناعتها للاستفادة من رغبات السياح في قضاء اوقات الفراغ ومتعة النفس في أشكالها المتعددة من جواذب الطبيعة أو التى من صنع الإنسان، وينظر الى تلك الامور كلها باعتبارها من مستجدات العصر الحديث. ولهذا جاءت هذه الدراسة لتثبت أن كل تلك العلوم والمعارف والخبرات كانت حاضرة في الحراك السياحي في الممالك القديمة لكن بمقياس عصرها وزمانها.

أهداف البحث

يصوب هذا البحث ويتقصدعدة أهداف منها:

1- دراسة السلوك والنشاط الإنساني في بعض الحضارات والممالك القديمة فيما يتعلق بمتعة النفس وقضاء الأوقات واستكشاف المجهول والاستمتاع بمكونات الطبيعة وما ابدعه وابتكره الإنسان من مناشط ورياضات وتنزهات وغيرها.
2- النظر في مفهوم السياحة وتعريفاتها الحديثة بمصطلح كلمة سياحة وإسقاط تلك المعاني على ما يشابهها من مناشط في العصور القديمة لاثبات ان السياحة كانت قائمة في مقصدها ومناشطها واقتصادها وتنظيمها وإدارتها وتشريعاتها في الممالك القديمة من دون أن تسمى سياحة باللغات المختلفة.

3- يهدف هذا البحث الى النظر في ان ذلك السلوك الإنساني المسمى سياحة في المصطلح الحديث هل هو رغبة عابرة وهوى في النفس وشغف الى المتعة وقضاء الأوقات ام هو امر يصدر عن فكرة ورؤيا وتصور يتبعه تخطيط وتنظيم وإدارة لتحقيق المراد حتى وأن كان متعة للنفس وقضاء للأوقات يتجدد بها العقل وينطلق نحو الإبداع والابتكار وذلك منذ الممالك القديمة وحتى العصر الحديث

4- يهدف هذا البحث الى دراسة هل تطور ونمو السياحة أمر مبتكر حديثاً أم هو ناتج سلوك إنساني نما وتطور مثلما نمت وتطورت الحضارات.

السياحة في الممالك المصرية القديمة

ونظراً لأن الحياة لم تكن معقدة بما هي عليه في الأزمان المعاصرة كانت هناك فسحة في الوقت للسياحة للطبقات الحاكمة وحاشيتها وقد كانت أول رحلة سياحية سجلها المؤرخون حوالي 1480 قبل الميلاد هي رحلة الملكة حتشبسوت إلى منطقة بونت Punt - ويعتقد أنها منطقة بالساحل الشمالي لأفريقيا – وقد تم تسجيل وصف كامل لهذه الرحلة على جدار الدير البحري بمدينة الأقصر[3]. كما أن بناء هرم زوسر ثم اهرامات الجيزة الثلاثة كانت سبباً رئيسياً وراء جذب عدد كبير من الزائرين الذين جاءوا إلى مصر لمشاهدة تلك العجائب التي تمثل مكاناً مقدساً للزائرين يحجون إليه في الفترة من 1600 ق م إلى 1200 ق م. وإن كان الدافع الحقيقي للزيارة هو الفضول والرغبة في المعرفة والمتعة وسواء كان الدافع الديني أو دافع المعرفة والمتعة فهي من بدايات حركة السياحة القاصدة إلى أهداف سياحية وقد ذكر بعض الكتاب نقلاً عن Herodotus أن قدماء المصريين اعتادوا على الاحتفال بالأعياد عدة مرات في العام وكانوا يستغلون المراكب النهرية للتسلية والغناء معتمدين على تدبير احتياجاتهم بأنفسهم مستمتعين بالنوم في العراء أما الخاصة من الموظفين الرسميين في ذلك الوقت فقد كانوا يستخدمون المعابد المريحة للإقامة بها أثناء رحلاتهم[4]، وهذا الوصف الأخير من Herodotus هو سلوك السائحين بغرض الترفيه حتى في هذا الزمان من حيث الفكرة والسلوك مع اختلاف الأدوات والوسائل كما أن زيارة الاهرامات بدافع ديني أو بدافع الرغبة في المعرفة والمتعة هو كذلك ذات السلوك الإنساني نحو المزارات الدينية بشكل عام على مر العصور وكذلك في العصر الحديث.

ولابد لمثل تلك الرحلات والملكية منها خاصة انها قد بدأت بفكرة دافعة ورغبة قوية لها اسبابها ومبرراتها حتى ولو كانت استشكاف المجهول اذ ان تحديد المنطقة المقصودة بالزيارة لا بد من معلومات مسبقة عنها قام بجمعها ووصفها فريق موثوق به.ثم ان تلك الرحلة الملكية التى تستحق ان تغادر الملكة من اجلها عاصمة ملكها في رحلة طويلة تقتضي تأمين أمر الملك والعرش والرعية من بعدها، لا يمكن ان تكون فقط من اجل التسلية والامتاع واللهو وقضاء الاوقات وانما لا بد لها من دوافع فكرية وعقلية ونفسية تقتضي كل تلك التضحيات. ثم انه لا بد لها من فريق مختص لوضع التصور وتخطيط شامل لمسار الرحلة واحتياجاتها وتأمين مسارها و تحديد خط السير والتوقف وتوفير الاحتياجات على مسار الرحلة في الحل والترحال مسبقاً قبل وصول الوفد الملكي. وغالباً لا يكون ذلك في مثل تلك الحالة الا عن تجارب سابقة وخبرة مؤكدة. وهنا يبرز واضحاً جليا دور الفكرة والتخطيط والإدارة وترتيبها باحكام. وهذا يظهر ان السياحة حتى في عهدها القديم قبل الميلاد لم تكن عملا تلقائياً يتم بمجرد الرغبة والاهواء في تزجية الفراغ وامتاع النفس كيفما اتفق وانما هنالك فكرة وتخطيط وإدارة.

(3) اسأمه الرافعي – السياحة النظرية والسياسات – د ن – د ت – د م ص 13.
(4) المصدر السابق ص 14.

ملامح السياحة في الامبراطورية اليونانية

ومع تطور الحضارات وانتشار العلم والمعرفة وبروز الفلاسفة يحدثون خاصة الناس وعلية القوم عن معاني الحياة وكيف ينبغي أن يمارس الناس مناشطهم وفى بلاد اليونان ظهر الفيلسوف ارسطو الذى قسم المجتمع إلى طبقات وحدد لكل طبقة مهامها ودورها في الحياة كذلك تحدث الفيلسوف افلاطون عن تصوره للمدينة الفاضلة. وكان نتاج ذلك أن تطور فهم المجتمع لممارسة الحياة وابتكار الجديد وعمد الناس إلى الحياة في المدن مما ترتب عليه تنظيم الحياة اجتماعياً واقتصادياً. ويتبع ذلك تنظيم شئون الحكم والأمن والمناشط الجامعة[5].

ويبدو أنه نتيجة لتطور وتنوع أساليب ووسائل الحياة في الامبراطورية اليونانية ورفاهية المجتمع واتجاهه نحو الاستمتاع بالوقت والتسلية وقضاء أوقات الفراغ فإن طبقات الحكام والسادة قد ابتكروا العديد من الوسائل والمناشط وطوروها لتحقيق ذلك الهدف إلى أن بلغت ذروتها في التنظيم والاعداد بظهور منافسات الألعاب الأولمبية والتي هي نتاج تجارب سابقة لها، تأسست معها حركة نشطة لحضور تلك المنافسات والمناشط المصاحبة لها. (وبداية من عام 776 قبل الميلاد اعتاد الناس الذهاب إلى المسابقات الأولمبية كل أربعة سنوات... وبذلك تكون لديهم خبرة السفر ومشاهدة معالم الحضارة اليونانية التي كانت تمثل منتج سياحي ونقطة جذب هامة) [6] ولا شك أن اقامة المسابقات والمنافسات الأولمبية كل أربع سنوات كان يجذب مشاهدين من مناطق مختلفة خاصة من الطبقة الحاكمة والأثرياء الذين يستطيعون الانفاق على سفرهم واقامتهم واحتياجاتهم وتمتعهم بما يرغبون خلال اقامتهم. (وقد وفرت الحضارة اليونانية فنادق بدائية للاقامة. ودأب الزائرون على ركوب القوارب الصغيرة والتنزه بالماء والهواء ببعض مناطق الزيارة الخلابة[7] وتلك إشارات واضحة لبداية حقيقية لسياحة تخدمها مناشط مترابطة تتكامل مع بعضها لتوفير خدمة شاملة للزائر.فالهدف من القدوم هو السياحة الرياضية ومشاهدة المعالم الحضارية وربما بعض المعالم الدينية ويتبع ذلك التنزه والترويح وقد تم توفير المأوى من خلال تلك الفنادق البدائية ولا بد أنه يتبع ذلك خدمة الطعام والشراب والترفيه، ثم توفير القوارب للسياحة النهرية أو على شواطئ البحار. وكل ذلك يشكل نوعاً من الدخل السياحي وتوفير فرص للعمل بسبب الحراك السياحي وما يصاحبه من مناشط مما شكل بداية مبكرة لاقتصاد السياحة. وبالتأكيد فانه لم يكن اقتصادا عشوائيا وانما هو محكوم بفكرة وتصور وتخطيط وإدارة وتنظيم.

ذلك النوع من التخطيط والتنظيم في تلك الفترة المبكرة يثبت خلاف ما ذهب اليه بعض الكتاب السياحيين اذ يذكر بعضهم (ان التخطيط السياحي قد ظهر بشكل واضح بعد الحرب العالمية الثانية) [8] كما يتحدث آخرون عن السياحة في العصور القديمة (لم يفكر احد في هذا العصر في تطوير السفر أو وسائله أو استغلاله لصالح المجموع وبالتالي لم تعرف كلمة السياحة الا في القواميس والمعاجم الحديثة) [9]. الا ان ما تم ذكره عن ملامح السياحة في الامبراطورية الرومانية وبذلك الجهد والإبداع والابتكار في المناشط وتنظيمها وتهيئة الاحتياجات المرتبطة بها من خدمات المبيت والطعام والشراب والتنزه وغيرها ما هو الا تخطيط دقيق وتنظيم محكم بمقياس زمانه غير ان ذلك العمل ربما ينقصه فقط ان يسمى سياحة لكنه في جوهره هو السياحة بذاتها وفي تخطيط ناجح يحمل عدداً من المناشط في برنامج واحد.

([5]) ستيفن بيج-إدارة السياحة-ترجمة خالد العامر-الناشر دار الفاروق الطبعة العربية-2008-ص51.
([6]) ستيفن بيج-مرجع سابق-ص51.
([7]) زيد منير عبوى – مبادئ السياحة الحديثة ط 1 – دار المعتز للنشر والتوزيع 2016 - ص 16.
([8]) أسامة الرافعي – مرجع سبق ذكره ص 13.
([9]) مصطفى يوسف كافي - أخلاقيات صناعة السياحة والضيافة –ط1-مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع – عمان 2014 ص 143.

والجدير بالملاحظة أن ذلك الحراك السياحي الذي عددناه مع اختلاف اسبابه لابد له من وسائل للوصول إلى الأماكن المستهدفة وعلى الرغم من بدائية تلك الوسائل – الدواب أو المراكب النهرية والبرية والبحرية – فهم يصلون إلى مقاصدهم المكانية وينفذون أهدافهم من الزيارة. وفي جانب البحر (فقد كانوا يصرون على السفر رغم بساطة المراكب وعدم مقاومتها للعواصف البحرية واحتمال تعرضها للخطر ورغم سوء احوال الطرق وفقر الامكانيات بأماكن الإقامة) [10].

لقد أوجد ذلك الحراك الإنساني في الامبراطورية اليونانية والمدعوم بآراء الفلاسفة اليونان مثل ارسطو وافلاطون أوجد اساساً فكرياً وفلسفياً واجتماعياً واقتصادياً لمفهوم السياحة تطور فيما بعد بحسب تطور الحياة والحضارة الإنسانية. وذلك ما يمكن أن يستوعبه التعريف الذى أورده الاستاذ هونز يكير رئيس الجمعية الدولية لخبراء السياحة على أن السياحة هي مجموع العلاقات والظواهر اللتى ترتب مع سفر وعلى اقامة مؤقتة لاجنبي في مكان ما.

ملامح السياحة في الأمبراطورية الرومانية

فإذا كان ما سبق ذكره مما وفرته الألعاب الأولمبية من حركة انتقال وسفر ونشاط مصاحب لزيارة الأماكن الدينية ومعابد الآلهة وأماكن التسلية والترويح وتوفير الوسائل لها فإذا كان ذلك في الدولة اليونانية فإن الأمبراطورية الرومانية كان للسياحة دورها فيها تبعاً لحضارتها والتخطيط الخاص بمسار الدولة إذ أنها في علاقتها الخارجية اعتمدت على عنصرين هما الغزو والحكم العسكري فتأسس لها ملك وحضارة وثراء وعلو مكانة جعلت الدولة وبعض المدنيين يبتكرون منشآت ترفيهية (مثل الشواطئ والمنتجعات الصحية) للاستمتاع بأنماط حياة ترفيهية مماثلة لحياة اليونانيين إذ أن الفكر والإبداع الإنساني لا يكون حكراً على الجهة التى انتجته فكراً أو تبنته تطبيقاً باعتباره تجربة إنسانيه تنداح بين الناس فيستفيد منها الجنس البشري متى ما كان ذلك متاحاً ونتج من ذلك تركيز السياحة الداخلية حيث توجد المنتجعات والمنشآت الرياضية بمدرجاتها لمشاهدة الأحداث الرياضية وتبع ذلك انتقال الناس لمشاهدتها فكان ذلك سبباً لقيام الكثير من المرافق المتعلقة بالسياحة [11]. كما كانوا يعمدون إلى التخفيف من ضغوط المدينة والاعمال الرسمية بزيارة نابولي والريفيرا الإيطالية. وهنا يبرز دور السياحة في معادلة الاداء العملي والجهد الفكري والاجهاد النفسي ومعالجة ذلك عن طريق مناشط السياحة لتجديد قدرة النفس والعقل على العطاء مرة اخرى وهو قطعا امر وراءه فكرة وتصور وتخطيط.

مما تميزت به الأمبراطورية الرومانية الطرق التي تربط بين المناطق الرومانية الأصلية والمنتجعات الساحلية والفيلات الصيفية والمواقع التاريخية. كما أن روما نفسها عاصمة الأمبراطورية ظهرت كاحدى الواجهات السياحية الحضارية. ولتلبية الاحتياجات السياحية لكل ذلك الحراك الإنساني تم توفير العديد من الفنادق والمقاهي والأشخاص للعمل كمرشدين سياحيين وبائعي تذكارات [12]، (ولابد ان يكونوا اشخصاً مدربين وذوي خبرة للقيام بذلك العمل) وفي القرن الثاني الميلادي انتج الجغرافي الأغريقي باوسنياس أول دليل سياحي لمساعدة الزائرين الرومان إلى بلاد الاغريق مما يعد مؤشراً قوياً يدل على أن مفهوم السياحة قد صار واقعاً في حياة تلك المجتمعات تأسست عليه علوم ومعارف ومفاهيم لحركة السياحة واقتصادها.

إن الأمبراطورية الرومانية وبحكم نشأتها واستفادتها من الدول السابقة لها فقد نشأت على تخطيط ونظم وكانت القوانين والتشريعات واحداً مما تميزت به عن غيرها فقد ظهرت فيها أولى المحاولات الجادة

([10]) حمزة عبد الحليم درادكة واخرون-مبادئ السياحة-مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيعه-عمان-2014-ص41.
([11]) ستيفن بيج – مصدر سبق ذكره – ص 53.
([12]) ستيفن بيج – مصدر سبق ذكره – ص 53.

لتقنين قواعد السفر والضيافة وجعلها ملزمة لمشغلي السفر ومقدمي خدمات الضيافة في روما القديمة[13] وقد كان من الضروري (تعزيز ثقة الناس بالسفر في مجتمع موبوء بآفات القرصنة، والسرقة وقسوة معاملة أصحاب المركبات للمسافرين، وخيانة أصحاب الفنادق للنزلاء طمعاً فيما لديهم من مال وقد نصت هذه القواعد على المسئولية الصارمة أو التلقائية عن الموت أو الأذى الشخصي الذي يلحق بالمسافرين أو نزلاء الفنادق، أو عن خسارة أو فقدان الممتلكات سواء في السفر أو الحضر) وقد شكل ذلك مسئولية صارمة على أصحاب الفنادق والبواخر ومرابط الجياد. وقد انتشرت تلك المبادئ القانونية في جميع أرجاء الامبراطورية الرومانية [14].

وبالرغم من البداية لحركة السفر والانتقال حسب الحاجة والظرف وما تبع ذلك من حاجة إلى المأوى والخدمة إلاأن ما تقدم من نماذج – وليس حصراً- للممالك السابقة في التاريخ فقد تبين أنه بعد ذلك اذ أن وضع القوانين لابد انه كان نتاج تأهل في حال الجتمع وعلاقاته نتج عن ذلك تصور لكيفية ضبط تلك العلاقات وتحددت أهداف تولدت عنها فكرة وضع قانون بحكم العلاقة بين طالب الخدمة ومقدميها وكيفية إدارة تلك العلاقة وتنفيذ احكام القانون فيها.. وهذا يظهر في سياق التطور التاريخي لحركة السياحة. وقد توفرت لحركة السياحة مقاصد وجواذب وترتيبات وقوانين شكلت بداية لملامح التخطيط السياحي وأهدافه. إذ أن وضع القوانين لابد أنه كان نتاج تأمل في حال المجتمع وعلاقاته نتج عن ذلك تصور لكيفية ضبط تلك العلاقات وتحددت اهداف تولدت عنها فكرة وضع قانون بحكم العلاقة بين طالب الخدمة ومقدمها وكيفية إدارة تلك العلاقة وتنفيذ احكام القانون فيها. وهذا يظهر في سياق التطور التاريخي لحركة السياحة.

ملامح السياحة في العصور الوسطى

أطلق مصطلح العصور الوسطى على الفترة التي تلت اضمحلال الامبراطورية الرومانية من عام 500م وحتى 1485م. كما وصفت الفترة الأولى من هذه الحقبة بالعصور المظلمة حيث انهارت الحضارة الرومانية في مظاهرها المتعددة. وقد برز في هذه الفترة النظام الاقطاعي الذي يقوم على ملكية الأرض وهو نظام يخضع له الفلاحون والنبلاء، ومثلما تأثرت كل المناشط بالاضمحلال فإن منشط السياحة لا يمكن أن يكون استثناءً من الجو العام بشكل كلي إلا أن مناشطها لم تنهار جملة واستطاعت السياحة أن تتميز بظهور المهرجانات والسياحة التي تعتمد على بعض الأحداث التي شجع النبلاء والفرسان على اقامتها في تلك الآونة، كما حققت المباريات التنافسية ومشاهدتها من قبل الفلاحين اقبالاً على طلب الاماكن التي يقيمون فيها لفترة مؤقتة والسفر من أجل مشاهدة تلك الأحداث[15].

وبالرغم من أن المراجع التي تحدثت عن تاريخ السياحة في العصور الوسطى تعد قليلة إلا أن اسامة الرافعي يذكر أن نشاطاً ايجابياً حول السفر قد حدث في تلك الفترة حيث يشير إلى أنه (... في الفترة ما بين 476م إلى 1450م تم تطوير السفن لخدمة نقل الأفراد وخصوصاً في الأغراض الدينية حيث كانت الكنائس والأديرة في ذلك الوقت تمثل اماكن الاقامة للمسافرين.. وهكذا لعبت الكنائس والأديرة في هذه المرحلة دوراً هاماً فيما يمكن أن نطلق عليه اليوم بصناعة الفندقة) [16].

ومن الملاحظ أن المناشط السياحية لم تندثر كلياً في تلك الفترة ولكنها أيضاً لم تنتقل إلى آفاق أرحب في العصور الوسطى ولم يرد ذكر – فيما وقف عليه الباحث من مراجع – لتطور الفنون في مجال النحت

(13) أسامة الرافعي – مصدر سبق ذكره ص 17.
(14) ستيفن بيج – مصدر سبق ذكره – ص 53.
(15) ستيفن بيج – مصدر سبق ذكره – ص 53.
(16) أسامه الرافعي – مصدر سبق ذكره – ص 1.

وتطور سياحة الاسترواح والمشاهدة والانتقال إلى الألعاب الأولمبية وبروز مناشط أو مقاصد سياحية جديدة أو تطور في مجال القوانين والتشريعات ليكون ذلك امتداداً للحضارة اليونانية أو الرومانية. ومن ثم لم يكن هناك أثر واضح للتخطيط من أجل تطوير السياحة ومرافقها والارتقاء بها في مجتمعات القرون الوسطى وربما يكون الغالب هو الاهتمام التلقائي بالمقاصد والمرافق السياحية القائمة لادارتها والمحافظة عليها لتؤدي دورها لخدمة المناشط الاجتماعية أو الثقافية أو الدينية أو الرياضية بقدر ما توفر لها من اهتمام.

السياحة في عصر النهضة

في الوقت الذي ما زالت فيه الكثير من بلاد أوربا تحت تأثير النظام الاجتماعي والاقتصادي الموروث من العصور الوسطى فإن بلاداً أخرى بدأت تخرج من تلك المظلة نحو آفاق أرحب وبفكر مختلف وبتوجهات متطورة نحو حياة أكثر انفتاحاً فكان أن ظهر عصر النهضة وهو مصطلح يطلق على فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة وهي من القرن الرابع عشر الميلادي إلى القرن الثامن عشر الميلادي. كما يدل مصطلح عصر النهضة على التيارات الثقافية والفكرية التي بدأت في ايطاليا في القرن الرابع عشر ثم انتشرت منها إلى فرنسا وأسبانيا وسائر أوربا. بدأت النهضة في ايطاليا 1350م في مجالات الفنون والفكر والآداب والمسرح اضافة إلى الميول القديمة نحو اقامة المهرجانات والمعارض مما يؤدي بدوره إلى تذوق الحياة والاستمتاع بأوقات الفراغ والترويح عن النفس مما ساهم في نمو النشاط السياحي المحلي. كما زادت فرص السفر نتيجة لزيادة اعداد المسارح المتنقلة والاهتمام برعاية الفنون.

ومن أعظم شخصيات النهضة في مجال الفنون ليوناردو دافينشي ومايكل أنجلو وكان لهذه الفترة تأثير واسع في الفن والعمارة وتكوين العقل الحديث.

كما اتسمت هذه الفترة بظهور الرحالة والمستكشفين وأبرزهم هنري الملاح، كرستوفر كلمبوس، فاسكودي جاما وكانت رحلاتهم لاستكشاف المجهول وزيادة المعرفة الجغرافية وتجويد أدواتها مما شكل فيما بعد أساساً للأسفار السياحية عبر المحيطات والى الأراضي الجديدة مما يدل على ان الأسفار السياحية كان التخطيط لها يتم وفقاً لمعلومات وتخطيط وفكرة وتنظيم وإدارة.

ومن نتائج قيام النهضة الأوربية انتعاش التجارة عبر البحر المتوسط مما جعل المدن الأوربية المطلة عليه تشهد رفاهاً اقتصادياً ساعد على ظهور طبقة غنية احاطت نفسها بمظاهر البذخ والترف مما جعلها تشجع حركة النهضة وتتنافس فيما بينها لرعاية فنانيها وأدبائها وعلمائها. ونواتج حركة الإبداع تشكل اضافة مهمة لمناشط السياحة وتشجع الانتقال لمشاهدة فنونها والاستماع الى آدابها ومسرحها وهنا يبرز النشاط الفكري والعقلي والنقدي الذي حدث نتيجة ممارسة بعض مناشط السياحة في سياق التطور التاريخي لنشأة السياحة. وفي القرن السادس عشر حينما وصف بعض علماء الطب بأن الينابيع الحارة مفيدة للصحة كان ذلك دافعاً للكثيرين للسفر إلى المنتجعات التي أقيمت على المياه المعدنية في ألمانيا والمجر والنمسا وايطاليا مما شكل واحداً من المظاهر المبكرة للسياحة العلاجية في عصر النهضة.

ومن دراسة عصر النهضة يتضح أن بعضاً من مفهوم السياحة ومنشآتها ومناشطها في العصور الوسطى قد استمر حتى هذا العصر حيث ظهر الاهتمام بالفنون والنحت والآداب والعلم والمسارح مما شكل حالة ذهنية ونفسية للتأمل في الحياة والتمتع بها عبر كثير من الوسائل، وتشكل السياحة إحدى الوسائل الهامة في هذا المجال ويتمثل ذلك في السفر إلى المنتجعات والمدن الساحلية واقامة النزل والفنادق في طريق السفر للتجارة والانتقال بين البلاد المختلفة مما يقتضي معه التخطيط – وإن كان بسيطاً – لتحديد مواقع المنشآت السياحية وهندستها ونوعية الخدمة المطلوبة ومن ثم نوعية الخدمة المقدمة وتأهيل أشخاص وتدريبهم عبر موجهات معينة لترضي رغبة الزبون. كما أن فن النحت الذي ازدهر في تلك الفترة ساهم

في كثير من الحراك والسفر لمشاهدتها والتأمل في ذلك الإبداع الفني مما شكل منشطاً سياحياً حياً تحتاج إدارته إلى الترتيب والتخطيط وفي ذلك تذكر بعض المراجع (أن استمرار عملية التباين في الثقافات وطراز الحياة والعادات والتقاليد يعتبر مؤشراً جيداً على زيادة الطلب على السياحة العالمية) [17].

السياحة في بدايات الثورة الصناعية

عند بداية الثورة الصناعية في أروبا ظهر الرأسماليون فشوهوا فكرة أوقات الفراغ والترفيه نتيجة رغبتهم في استغلال كل الوقت في العمل لكسب التنافس التجاري وتحقيق أرباح اقتصادية كبيرة. ولكن عندما كثر العمل ونمت حركة الصناعة وظهر قطاع واسع من الأغنياء والطبقات الراقية فقد انسحب هؤلاء من الاشتراك في الأنشطة الثقافية الجماهيرية. كما بدأ الأغنياء في الانتقال من المدن إلى القرى الريفية لأغراض سياحية طلباً للراحة والاستجمام، وهذا بدوره أدى إلى إنشاء الفيلات الريفية.... مما أدى إلى انتشار أشكال خاصة من مظاهر الاستجمام الريفي.

كما ظهرت في هذه الفترة سياحة ما يطلق عليه بالجولة الأوربية الكبرى والتي يقصد بها تلك الجولة التي كان يقوم فيها المسافرون بزيارة الأماكن والجهات السياحية المهمة في أوربا ابتغاء اكتساب الثقافة والتعلم والشعور بالمتعة، وكان هؤلاء المسافرون غالباً ينتمون إلى الطبقات الثرية والارستقراطية المتميزة..وقد ظهرت في أزهى عصورها في القرن الثامن عشر. وقد بالغ بعض المهتمين بقطاع السياحة إلى حد قولهم بأن تلك الجولات تعتبر أصل الرحلات الخارجية الحديثة[18].

ويبدو من خلال اهتمام العديد من المراجع بما يعرف بالجولة الأروبية الكبرى أنه قد كان لها أثر كبير في تطوير حركة الاقتصاد السياحي مما جعل اهتماماً بالمنشآت السياحية ودور الايواء ونوعية الخدمة إذ أن تلك الجولة بعد أن بدأت في بريطانيا في القرن الثامن عشر انتشرت في بقية بلاد أوربا الغربية خاصة إذ أنها كانت للطلاب بعد تخرجهم من الجامعات لمدى عام أو عامين يجول خلالها بلاد أوربا ومدنها الكبرى طلباً للمعرفة والاستكشاف والتأمل وغالباً لا يكون وحده وانما بصحبة آخرين يكونون في خدمته مما يجعلها سياحة للمجموعات Groups وليس للأفراد مما يزيد في أعداد السياح وطالبي الخدمة وذلك يقود إلى وجود منظمين لتلك الرحلات تفويجاً واستقبالاً وإعداداً للخدمة والمأوى ويحتاج ذلك إلى محاسبين وإداريين وغيره مما يقتضيه الحال وبذلك تكون قد نشأت مؤسسة متكاملة لإدارة اقتصاد سياحي يقوده التخطيط والإبداع وحسن الإدارة والتنظيم.

ومن خلال الجولة الأوربية الكبرى في القرن الثامن عشر ظهرت الرؤية المتغيرة للمناظر والأماكن الطبيعية كعنصر أساسي في السياحة. كذلك أسهم شعراء وكتاب المدرسة الرومانسية في تصوير المناظر الطبيعية والاعلام عنها بعد أن اجتذبتهم تلك المناظر الخلابة فظهرت في أشعارهم ورواياتهم مما لفت الانظار إليها وجعلها موضع اهتمام السائحين ومقصداً مباشراً لهم [19] والرومانسية فكرة فلسفية اسهمت في ترقية الفكر الإنساني وانعكس ذلك على تذوقه للحياة والطبيعة ما انعكس على النشاط السياحي.

وقراءة لواقع النشاط الاقتصادي والتجاري الناتج من حركة الثورة الصناعية فإن ذلك أدى إلى تطور وسائل النقل والسفر فظهرت العربات التي تجرها الخيول، وتطورت صناعة المراكب إلى البواخر في الأنهار ثم البحار فزادت حركة النقل التجاري وزاد الطلب على التواصل بين المدن داخل البلد الواحد أو البلاد المتجاورة أو حتى المتباعدة نسبياً مما اقتضى طلباً للخدمة والمأوى فظهرت الفنادق الصغيرة فتبعتها الخدمة وتوفير سبل الراحة والاستجمام والترفيه ومن ثم ترقية نوعية الخدمة وفنونها وبالرغم من

([17]) ستيفن بيج – مصدر سبق ذكره – ص 53.
([18]) حميد عبدالنبي الطائي-اصول صناعة السياحة-مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع-عمان-2009-ص30.
([19]) ستيفن بيج – مصدر سبق ذكره – ص 56-57.

أن ذلك الحراك لم يكن في غالب أهدافه للسياحة فقط وقضاء وقت الفراغ وانما كان حراكاً اقتصادياً أو إدارياً أو حتى عسكرياً ولكن استخدم فيه المسافرون مكونات السياحة وانفقوا أموالاً في مناشطها والاستمتاع بخدماتها مما جعل أساساً لتطوير مفهوم السياحة وخدماتها في هذه الفترة استعداداً لمرحلة أخرى قادمة.

السياحة في العصور الحديثة

تمتد هذه الفترة من القرن التاسع عشر الميلادي وحتى العصر الحالي الذي برزت فيه السياحة كصناعة لها أساسها ومقوماتها والمنظمات والقوانين والتشريعات التي ترعاها.

وقد كانت بداية الانطلاقة الكبرى مع ظهور القاطرات والسكك الحديدية كعنصر فاعل ومهم في حركة نقل الركاب. ففي عام 1814م قام المهندس البريطاني جورج استيفنسون George Stephenson ببناء القاطرة الأولى التي تعمل بالبخار ولكنها كانت تسير بسرعة منخفضة ثم طورها على عدة مراحل حتى بنى قاطرته البخارية الشهيرة Rocket وبنى خطاً حديدياً بين ليفربول ومانشستر وسيرها عليه في 15 سبتمبر عام 1830م وبلغت سرعتها 58كلم في الساعة وكان هذا أول خط حديدي منتظم للقاطرات وأول مرفق يقدم خدمات منتظمة للركاب[20] وهنا كانت الفكرة والابتكار حاضرة في خدمة النشاط السياحي.

توماس كوك رائد السياحة الحديثة

إن أول رحلة جماعية بالقطار نظمها الانجليزي توماس كوك في 5 يوليو1841م غادرت من ليستر إلى لاوبرا بانجلترا حيث حصل على أجر جماعي قدره شلن واحد لكل شخص واستمرت هذه الرحلات بالتعاون بين كوك والشركات التي كانت تسير رحلات القطار حيث كانت تلك الرحلات لطلاب المدارس نظم كوك أول رحلة تجارية في عام 1845م وقد نظم الرحلات الأولى إلى أحداث رئيسية مثل المعرض الكبير في لندن عام 1851م والمعرض العالمي في باريس عام 1855م كما نظم رحلة سير إلى جبال الألب السويسرية. وفي عام 1867م نظم أول رحلة إلى الولايات المتحدة. وفي عام 1872م نظم أول رحلة حول العالم حيث وردت تفاصيل الرحلة في جريدة التايمز. وفي عام 1880م بلغ عدد وكالات توماس كوك السياحية ستين وكالة حول العالم. ولقد اخترع كوك عام 1873م أول ورقة مالية تداولية وهي شكل مبكر للشيكات السياحية الحديثة. وقد بلغ في ما بعد عام 1880م عدد الفنادق التي تتعامل مع شيكات كوك السياحية خمسمائة فندق حول العالم[21].

ويتضح من ذلك السرد التاريخي لجهود توماس كوك في الارتقاء بالرحلات السياحية وتطويرها من رحلات تنظم لطلاب المدارس حتى بلغت أن تكون رحلات حول العالم ترعاها منظومة وكالات سفر بلغ عددها ستين وكالة حول العالم وحوالي خمسمائة فندق لاستقبال السائحين واخترع الأوراق المالية المسهلة للدفع المالي في المنشآت السياحية التي يتعامل معها سياح وكالاته.

كذلك ظهر البلجيكي جورج ناجلماكرز في مجال رحلات القطار فسير ما عرف بقطار الشرق السريع 1883م وكان أول قطار أوربي بغرف نوم ومطعم وكان مؤثثاً تأثيثاً راقياً وبدأت رحلاته من باريس إلى البحر الأسود ثم امتدت فيما بعد إلى اسطنبول بتركيا.

إلا أن حركة القطارات لم تكن حكراً على أوربا فقد تم افتتاح أول خط حديدي للعمل الفعلي في أمريكا عام 1830م وفي مصر عام 1852م وفي آسيا عام 1852م وفي استراليا 1854م. وتبعاً لازدياد حركة السفر والسياحة بظهور الخطوط الحديدية وما يترتب على ذلك من احتياجات وخدمات وازدهار وتطور

([20]) ستيفن بيج – مصدر سبق ذكره – ص 68.
([21]) ستيفن بيج – مصدر سبق ذكره – ص 68.

حركة الاقتصاد والخدمات المالية فقد ظهرت في أمريكا عام 1850م شركة Express وأصدرت ما يسمى بـTravelers Checks وأضافت إلى عملها مجموعة من أنشطة السفر إلى أن تحولت إلى وكالات سياحية تعد وترتب رحلات مختلفة الأغراض لخدمة النشاط السياحي [22] وفي أواخر القرن التاسع عشر بدأ تسيير السفن ذات التأثيث الفاخر حيث وفرت مستوى من الفخامة لم يكن متوفراً في أفضل الفنادق. وشجع ذلك السياح على الطواف حول العالم وزيارة الموانئ والتعرف على ثقافات الشعوب وشجع ذلك صناعة التذكارات

وبالرغم من أن النصف الأول من القرن العشرين شهد أحداثاً وتحولات كبرى في التاريخ الكوني من خلال الحرب العالمية الأولى 1914م – 1919م والثانية من 1939م-1945م وانصب اهتمام العالم بتطوير الصناعات الحربية والصناعات المساندة للحرب واتجه الاقتصاد لخدمة تلك القطاعات إلا أن حركة السياحة لم تخمد تماماً، ولكنها ازدهرت بعد نهاية الحرب الكونية الثانية عام 1945م وبدأت المرحلة الأخيرة من التطور فيما يعرف بـMass Tourism (أي سياحة المجموعات الكبيرة) وتميزت هذه المرحلة بالثورة الصناعية والتكنولوجية مما أفرز زيادة ضخمة في الثروة والدخل مما أثر في أسلوب حياة وتصرفات الأشخاص وظهرت تغيرات سريعة لم تشهدها البشرية من قبل [23]. ومن أهم ملامح هذه المرحلة أن وسائل الاتصال الحديثة قد أثرت في نمو السياحة وفي خلق اهتمامات بالدول الأجنبية وأماكن الجذب بها وزادت الرغبة في الاهتمام بالثقافات والحضارات ووسائل الاستجمام والترفيه بالدول الأخرى [24].

وفي اطار دور وسائل النقل في حركة السياحة فإن تقريراً لمنظمة الوحدة الأوربية وقتها تحت عنوان Europeans on holidays أشار إلى أن السيارات الخاصة تساهم بنسبة 58% من سياحة الاجازات. وذلك أن الاحصاءات تسجل أن عدد السيارات في العالم قد ارتفع من (100مليون) عام 1970م إلى 394مليون عام 1987م[25] وذلك مما سهل لكثير من الأسر وحتى الأفراد حركة الانتقال لقضاء الاجازات في سياحة داخلية أو خارجية. كما أن للطرق المعبدة داخل الدولة أو العابرة للدول دور كبير في تيسير حركة الانتقال مما جعلها – السيارات والطرق – من أهم عناصر تشجيع السفر السياحي في العصر الحديث.

لقد ظهرت الطائرات خلال الحرب العالمية الثانية بشكل كثيف كآلة حربية قتالية وفي ذات الوقت عملت في نقل الجنود من مكان إلى آخر. إلا أنه بعد الحرب بدأ التوسع في استخدام الطائرة للأغراض المدنية وكان ذلك دافعاً اضافياً لحركة الانتقال للسياحة بين أرجاء المعمورة مما دفع منظمي الرحلات للترتيب مع شركات الطيران الخاصة والتي لا تعمل في خطوط ثابتة وغالب رحلات الـCharter تكون موجهة لحركة السياحة ويضاف إلى ذلك أن تم اختراع الـJet Air Craft وهي طائرات صغيرة عالية السرعة قليلة الاستهلاك للوقود مما ساهم في تخفيض زمن الرحلات وبالتالي تخفيض التكلفة، مما ساعد على زيادة عدد المسافرين للسياحة في الفترة من 1960م إلى 1966م مما أدى إلى فتح أسواق بعيدة وأسواق سياحية جديدة، ووفقاً لتقديرات منظمة السياحة العالمية UN.W.T.O فقد زاد حجم السياحة العالمية الوافدة من 69 مليون عام 1960م إلى 537مليون عام 1994م[26]. ولكن ذات المنظمة اعلنت

([22]) أسامة الرافعي مرجع سبق ذكره ص 17.
([23]) أسامة الرافعي مرجع سبق ذكره ص 17.
([24]) أسامة الرافعي مرجع سبق ذكره ص 8-19.
([25]) أسامة الرافعي مرجع سبق ذكره ص 20.
([26]) أسامة الرافعي مرجع سبق ذكره ص 20.

في عام 2013م أنها تتوقع ان يرتفع عدد السياح عام 2014م الى مليار سائح مما يجعل السياحة من أكبر المحاور التى تدور حولها حركة الاقتصاد العالمي.
ولا بد من ملاحظة أن لوسائل النقل وتطورها الدور الأكبر في انسياب حركة السياحة ونموها مما أدى لنمو وتطور المناشط المصاحبة والمكملة لها! وساهم ذلك في التخطيط المبكر للمناطق السياحية واكتشاف الجديد منها وإنشاء البنيات التحتية والأسراع في عملية التأهيل والتدريب للكوادر العاملة في مجال خدمة السياحة، فأنشئت المدارس والمعاهد والكليات الجامعية من أجل تحقيق ذلك الهدف.
ولذلك فإن الاقبال والنمو المتزايد في حركة السياحة ساهم في تطور صناعة الفندقة والمنتجعات وتنوعها في مستوياتها واضافة مناشط أخرى لإرضاء السائح واستيعاب وقت فراغه ورغبته في التسلية والترويح ومن ثم نشأ نظام عالمي لتصنيف الفنادق والمنتجعات والمطاعم والبواخر السياحية وفقاً لمواصفات وتشريعات تضبط درجتها وجودتها. كما أن العاملين في مجال السياحة كنشاط اقتصادي اجتهدوا في ابتكار الجديد من مناشط السياحة وسعوا إلى تنوعها وإدخال عناصر جديدة فيها خاصة في القرن العشرين ومن ذلك سياحة الصحراء وسياحة الراليات (سيارات ودراجات) وسياحة الغطس والتصوير تحت الماء والمؤتمرات والتسوق والسياحة البيئية وسياحة المغامرات ويخطط البعض الآن إلى سياحة في الفضاء في شكل رحلات منتظمة (ويعتبر ظهور السياحة الشاملة غير الطبقية في حقبة ستينات القرن العشرين من أهم سمات التوسع الدولي الذي حدث في قطاع السياحة... كما شهد العقد الأخير من القرن نفسه تحولات من الرحلات الشاملة الثابتة... إلى رحلات تتسم بالتفرد ومزيد من المرونة في البرامج الموضوعة لها [27].
لقد صارت السياحة في القرن العشرين صناعة مركبة من الصناعات غير التقليدية التي تعتمد على الأسلوب العلمي والتخطيط والإبداع والابتكار والتنظيم والإدارة في مختلف انشطتها – النشاط الفندقي- نشاط المطاعم السياحية (الثابتة والعائمة والتي في الطبقات العليا للمباني الشاهقة) ونشاط شركات السفر والسياحة – الارشاد السياحي – المبيعات السياحية – الترفيه السياحي – النقل السياحي [28]. وتذهب بعض المصادر إلى أن الاقرار بظهور السياحة كصناعة ذات مردود اقتصادي واجتماعي واضح والاعتراف بها بهذه الصفة انما بدأ في القرن العشرين [29]. الا ان الشواهد التى تم ذكرها سابقاً منذ الممالك المصرية القديمة وما بعدها تثبت ان النشاط السياحي كان حاضراً فكراً وتنظيماً وتخطيطاً وإدارة وحركة اقتصاد الا انها لم تبلغ ذلك التأثير في اقتصاديات الدول كما هو الآن كذلك لم تبلغ ان تكون صناعة ذات ملامح محددة.

النتائج

1- السياحة بمفاهيمها ومقاصدها الحديثة بعد ان اصبحت مصطلحاً له دلالاته يمكن اسقاطها على العديد من المناشط والمقاصد التى ظهرت في الممالك والحضارات القديمة وقد ظهر جراء ذلك ان السياحة كانت تمارس فعلاً وتنظيماً وإدارة واقتصاداً وتشريعاً غير انها لم تكن تسمى سياحة.
2- الممالك الامبراطوريات القديمة عرفت كثيراً من انواع السياحة وتصنيفاتها الحديثة مثل سياحة الطبيعة والسياحة الدينية، وقضاء الأوقات والتسلية، السياحة الرياضية، سياحة الاستكشاف، كما عرفت الفنادق والمنتجعات.

([27]) ستيفن بيج- مرجع سبق ذكره ص 101.
([28]) ماهر عبد الخالق السيسي الاتجاهات الحديثة في صناعة السياحة د ن – مطابع الولاء الحديثة – شبيني الكوم – مصر 2004م ص 20.
([29]) أقيوم اكمجو مسلم – مرجع سبق ذكره ص 20.

3- عرفت الممالك القديمة تنظيم اعمال السياحة وادارتها وضبطها بالتشريعات، ووضع برامج سياحية متداخلة وذلك تدرجاً وفق تطور الحضارات وتطور المفهوم الإنساني.
4- منذ الممالك القديمة ظهرت مبادئ اقتصاد السياحة وشئون تدريب العاملين بها وظهرت لها منشأت سياحية مثل النزل والفنادق وتوفير خدمة الطعام والايواء.
5- ظهور اقتصاد وصناعة السياحة لم تكن نتاجاً لإبداعات وابتكارات العصر الحديث وانما هي تطور متدرج نما مع نمو الحضارات والفكر الإنساني وإبداعاته عبر التاريخ ويظهر ذلك من خلال السرد التاريخى للبحث.
6- السياحة عبر التاريخ ومنذ العصور القديمة لم تكن متعة شخصية وأهواء ذاتية يسعى الإنسان لتحقيقها لمجرد الرغبة فيها وانما هي سلوك إنساني تسبقه فكرة ويصدر عن تصور ثم تخطيط وتنفيذ يحتاج الى إدارة وتنظيم وقد تطورت السياحة عبر العصور الى أن وصلت الى ما هي عليه الأن، وقد استند ذلك التطور الى افكار وإبداع وابتكار عززتها افكار الفلاسفة مثل أرسطو وافلاطون في العصور القديمة ومناشط الحضارة اليونانية والرومانية والألعاب الأولمبية ثم المدرسة الرومانسية في الفنون والأداب ثم النشاط الصناعي في تطور النقل والطرق ثم النشاط الاقتصادي في تطور الأدوات المالية والمنشأت السياحية، وينتج عن ذلك أن سياحة اليوم هي سلسلة من التفاعلات عبر التاريخ.

الخاتمة

وبالرغم من ان القرن الواحد والعشرين لم يصبح تاريخياً بعد الا انه من تتبع حركة المجتمع والشباب خاصة ومحاولة استقراء المستقبل فأن الانفتاح نحو السياحة والتنزه لأغراض المعرفة والترفية وقضاء أوقات الفراغ والتلاقي لأغراض الصداقة والتعارف ممن جمعتهم الفكرة الواحدة أو الهواية الواحدة أو الرؤي المشتركة من خلال وسائط التواصل الاجتماعي في شبكة الانترنت (ذلك حتى في الدول الفقيرة) ستشكل عامل دفع إضافي لحركة السياحة العالمية خلال القرن الواحد والعشرين. وباكتمال التصور لهذا القرن فإنه يظهر جلياً أن الفكر والفلسفة والابتكار والفنون والإدارة هي القواعد التى تأسس عليها بنيان السياحة عبر التاريخ ومن ثم انطلقت الرغبة في المعرفة والتذوق وامتاع النفس حسياً ومعنوياً واستكشاف دروب الحياة التى تقود الى الأمل في آفاق المستقبل عبر اغراض السياحة التى تطورت بتطور الحياة والحضارة فظهرت علوم السياحة وتخصصاتها حتى صارت اقتصاداً ثم صناعة تعتمد عليها الكثير من الأمم.

ومن خلال ذلك يتضح أنه عبر وسائط التواصل انطلقت ثورة ضخمة تجاه المعرفة والعلوم وتبادل الأفكار والفنون والابتكارات والإبداع وعلوم الإدارة والتصورات الفلسفية لكيف يعيش الناس الحياة وفق مبادئ واهداف تشمل شئ مذاهب الفكر الإنساني الحر والمتحرر والمحافظ إلا أنه وفق أغراض السياحة المعروفة الأن والتى سوف يبتكرها الإبداع الإنساني مستقبلاً سيكون للسياحة نصيب من التطور يوجب على المحتفلين بالفكر السياحي وعلومه أن ينطلقوا بتصوراتهم لقراءة المستقبل ومن ثم الإعداد لكيفية التعامل معه بتصور الطلب وما يقابله من عرض ليس وفق قانون العرض والطلب أو قانون تحكم السوق وإنما باستصحاب المتغيرات والمستجدات التى يبتدعها الفكر وفلسفة الحياة وابتكار المبدعين والفنون وحسن الإدارة التى حكمت مسيرة الناس عبر التاريخ.

قائمة المراجع

أسامة الرافعي - السياحة النظرية والسياسات، دن – دت – د م.
اقيوم اكمجو مسلم - السياحة صناعة العصر – الناشر مكتبة بيروت القاهرة، 2007.

حمزة عبد الحليم درادكة واخرون-مبادئ السياحة-مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيعه-عمان-2014.
حميد عبدالنبي الطائي-اصول صناعة السياحة-مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع-عمان-2009.
زيد منير عبوى – مبادئ السياحة الحديثة ط 1 – دار المعتز للنشر والتوزيع 2016.
ستيفن بيج – إدارة السياحة - ترجمة خالد العامر – الناشر دار الفاروق المطبعة الحديثة، 2008.
صبري عبد السميع – نظرية السياحة – دن- دت.
صلاح الدين عبد الوهاب – تخطيط الموارد السياحية – الناشر مطبوعات الشعب – مطابع دار الشعب القاهرة، 1988.
عبد الباسط وفا – التنمية السياحية المستدامة – دار النهضة العربية، 2005.
ماهر عبد الخالق السيسي - الإتجاهات الحديثة في صناعة السياحة - دن – مطابع الولاء الحديثة – شبين الكوم – مصر، 2004.
ماهر عبد الخالق السيسي - صناعة السياحة الأساسيات والمبادئ، دن – طباعة دار الولاء الحديثة – شبين الكوم، مصر 2004.
ماهر عبد العزيز توفيق - علم إدارة الفنادق – الناشر دار زهران – عمان، 2006.
محيا على زيتون – السياحة ومستقبل مصر – الناشر دار الشروق – القاهرة، 2004.
مصطفى يوسف كافي - أخلاقيات صناعة السياحة والضيافة –ط1-مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع – عمان 2014 ص 143.
هناء حامد زهران - الثقافة السياحية وبرامج تنميتها – الناشر عالم الكتب القاهرة، 2004.

Tourism Development between Thought, Philosophy, Innovation and Management

Ali Mahjoub Atta ElMannan
Faculty of Tourism and Hotels – Alzaiem Alazhari University - Khartoum

Abstract

The researcher noted that most of the researchers who wrote about the history of the genesis and evolution of tourism were concentrating on the beginnings of the tourist movement as a human activity that was caused by the development of man's life which has a multiplicity of needs and is treated as a humanitarian phenomenon, but the researcher considers that tourism has another depth associated with the idea, philosophy, innovation, arts and management. Today, tourism is a well-developed science and art with the evolution of time and human civilization, an economy and an industry on which many nations depend on their national income. But tourism has a story that has been woven and written through centuries of history, as its concept has evolved according to the evolution of human civilization, the multiplicity of people's needs, their different desires, the evolution of his understanding of life and the universe around them and its sense of other assets and his reflections on it and around it then sought to appoint it for his desires in accordance with his perceptions and plans for his life. All of that was not random or accidental but it is a building founded on the rules of thought, philosophy, innovation, arts and management, accompanied by the genesis and evolution of tourism activity, because those rules played a pivotal role in shaping the life people are directing their desires and their origins at least in a geographical and political environment where thought, philosophy and innovation have led to life being guided by a plan that results in creativity, art and management. This is the opinion of Aristotle in dividing the strata of society, and Plato in the Virtuous city has defined a functional description of each class and its role in the State and society and determined how to manage a regime ,society ,the serviced and server classes, such as leisure, self-pleasure, and what they have narrated by Herod from the ancient Egyptians ' celebrations, holidays and their excursions and also what has emerged from the art of drawing and sculpting creations, and the thought of organizing

life. The creation and organization of the Olympic Games at that early time requires a capacity to think, visualize and plan for the management of that sport activity, which requires preparing of playgrounds, receiving guests ,viewers and fans of that games, creating a popular mobility that has created a humanitarian need for tourism related to the need for services and goods, it was an early start for sports tourism and its beginnings evolved until modern tourism and its components and economy were generated and became an industry that many nations depend on, tourism has never been the catalyst for time, leisure and recreation only, but The fun of oneself in them comes from the pleasure of mind, thought, meditation, and emotional sense of satisfaction with the acquisition of new knowledge , places and their content and the acquisition of material and moral interests in accordance with the purposes of modern tourism, part of which is to spend time, leisure, and recreation as part of their self-needs and fun , besides the thought, philosophy, creativity and management through which the story of the tourism is created. The significance of this study lies in the fact that it came to prove that all that science, knowledge and experience were present in the tourist movement in the kingdoms the old and the subsequent eras but both on the scale of its time and its time and the study aimed at endorsing all the purposes that mentioned above in addition to considering the concept of tourism and its modern definitions with the term tourism and dropping those similar meanings of the ancient times up to the pre-modern era to prove that tourism has existed in its purposes, origins and economy Its organization, administration and legislation without being called tourism in the different languages. The time limitation of this study included ancient Egyptian kingdoms, the Greek empire, the Roman Empire, the Middle Ages, the era Renaissance, the beginnings of the Industrial Revolution, the modern eras, Thomas Cook in the organization of excursions and the development of financial instruments, then the age of transport development and its role in the tourism movement, and the research has concluded that the advent of the tourism economy and industry has not been the result of innovation and innovations of modern times but a gradual development that has grown with the growth of civilizations and human intellect and its creations throughout history which is clear through the historical narration in the research.